مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : ٣٦، العدد: ٣، السنة :٢٠١١ ، ص٥-١٨

مادة(جهِل) في القرآن الكريم

دراسة لغوية

احمد عبدالله نوح سعيد ابراهيم صيهود

جامعة البصرة- كلية التربية الرياضية- قسم اللغة العربية

الخلاصة :

تحتل الدراسات القرآنية مكانة واسعة من بين الدراسات اللغوية عند الباحثين القدامى والمحدثين،فالقرآن يعد المصدر الاول للغة الغربية ،الذي يهرع اليه الدارسون ،لينهلوا من معينه الذي لا ينضب،ليس على مستوى اللفظة فحسب،بل على مستوى العبارة والتركيب،فمنذ القديم ظهرت مؤلفات تتناول تفسير القرآن،وبيان معانيه،وتفسير غريبه،واعرابه،وناسخه ومنسوخه، فضلا عن كتب البلاغة والاعجاز القرآني،وغيرها كثير .

ولعلنا لانغالي اذا قلنا ان من ابرز هذه المؤلفات ما تناولت اشتقاق الالفاظ القرآنية ،وبيان معاني المفردة داخل التركيب القرآني ،ذلك لان القرآن له استعماله الخاص للفظة ،وهو يضع المفردة موضعها المناسب لا تصلح اخرى بديلا عنها ولو كانت مرادفه لها.

وبحثنا المتواضع هذا يتناول مادة (جهل)في التركيب القرآني،لما لهذه اللفظة من خصوصية ومكانة متاتية من صيغها المتعددة في النص القرآني ،بين الفعلية والاسمية والمصدر وصيغة المبالغة وغيرها ، فكان من الضروري تتبع دلالة هذه اللفظة عند اللغويين واصحاب المعاجم من جهة ،ودلالاتها في القرآن من جهة اخرى،فاللفظة في الاستعمال القرآني يعتريها الكثير من التغيير على مستوى الدلالة ،اوالبنية ،فضلا عن ان السياق يؤدي دورا فاعلا في توجيه المعنى العام للنص واللفظة بوجه خاص.

وبعد ،فهذه محاولة لدراسة لفظة من الفاظ القرآن الكريم ،علنا نكون قد ساهمنا في طرح بعض دلالاتها،فان وفقنا فلله الحمد والمنة،والا فحسبنا اننا حاولنا،والله من وراء القصد،انه نعم المولى ونعم النصير..

التاصيل اللغوي لمادة (جهل):

قبل البدء بدراسة دلالة مادة (جهِل)في القرآن الكريم، لا بد لنا من معرفة دلالتها في اللغة ، فقد جاء في المعجم الوسيط[١]: جهِلت القدر: اشتدّ غليانها،وجهِل فلان على غيره : جفا وتسافل،وتجاهل الشيء : لم يعرفه،وتجاهل الحق:اضاعه،وأجهله:جعله جاهلا اووجده جاهلا، وجهّله: نسبه الى الجهل اوأوقعه فيه.والمصدر:جهلا وجهالة.والجمع :جهّال، وجهلة،وجهلاء ، وجهّل. والفاعل:جاهِل، والمفعول:مجهول.

وفي اساس البلاغة [٢]:هو يجهل على قومه:يتسافه عليهم،ومنه قول الفرزدق:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن المجاز:استجهلت الريح الغصن:حرّكته،ومنه قول النابغه:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشّيب شامل ؟

ومما تقدم يظهر واضحا ان الجهل في اللغة يراد به عدم المعرفة بالشيء ،وهو ضد العلم ،هذا من جانب ،ومن جانب آخر،يعني الطيش والسفه والعصبية،وذلك واضح في قول الفرز دق السابق ،وهي صفة كانت سائدة في مجتمعات ماقبل الاسلام ،ولذلك نقل السيوطي في المزهر عن ابن خالويه قوله :(ان لفظ الجاهلية اسم حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة).[٣] وبسبب هذا ايضا لم نجد لهذه اللفظة استعمال في الشعر الجاهلي (وانما هي صيغة اوجدها القرآن الكريم وانتشرت فيما بعد لتكون علما على الفترة التي سبقت نزول القرآن).[٤]

وارتباط هذا المصطلح بالاسلام متأت من طبيعة المجتمع آنذاك الذي كان يسوده الشرك والضلال والكفر والنفاق ،و(القرآن يسمي عهد العرب المتصل بظهور الاسلام بالجاهلية ،وليس الا اشارة منه الى ان الحاكم فيهم يومئذ الجهل دون العلم ،والمسيطرعليهم في كل شيء الباطل)[٥].

ومما تجدر الاشارة اليه ما شغل به الدارسون قديما وحديثا من تساؤل مفاده ما سبب تسمية هذه الحقبة الزمنية او ذلك العهد الذي سبق ظهورالدين الاسلامي بهذه التسمية وهذا الوصف المانع الجامع. وقد اجابوا عن هذا التساؤل بثلاث تفسيرات [٦]:

الاول–عدم معرفتهم القراءة والكتابة .

الثاني–عدم المامهم بالعلوم المختلفة.

الثالث–عدم معرفتهم بالدين الجديد.

واخيرا يمكن القول ان هذه الاسباب مجتمعة هي التي تقف وراء هذه التسمية ،الا انها تسمية متعلقة بالقرآن اكثر،لانه يطلقها على كثير من طبائع المجتمع من عدم الايمان بالله تعالى واتباع الوثنية وعبادة الاصنام وشرب الخمر والتبرج وغيرها.

مادة (جهل)دراسة في تشكلاتها التركيبية :

لم تتخذ مادة (جهل) صورة تعبيرية واحدة في الاستعمال القراني ،بل اتخذت صورتين مختلفتين في نظمها وتشكل علاقاتها في التركيب القراني،وهاتان الصورتان هما:

اولا:الصورة الفعلية وتشكلاتها:

نلحظ ان مادة (جهل)لم تات على صورة الفعل الا بصيغتي المخاطب والغائب المضارعتين (تجهلون ويجهلون)المسندتين الى واو الجمع وقد ارتبطت بهما ارتباطا وثيقا ،لتخبرنا بصفة ذلك الجمع الذي تطبع بتلك الطباع الوحشية التي يربا عنها حتى وحشي الغاب من قتل الاولاد فلذات الاكباد وواد البنات التي هي حسنات كما في الحديث والعيش على السلب والنهب والتحاكم الى الطاغوت وترك الحكم بما انزل الله واظهار الفساد في البر والبحر بشرب الخمر والفجور والتبرج وغير ذلك من الصفات التي عمت الوجود البشري في ذلك الحين .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)[٧]. فالفعل جاء بصيغة المضارع المسند الى واو الجمع ،ليدل على الحاضر وامكانية الاستمرار في حالة الجهل السارية في عروقهم وذلك لاستفحال حالة العناد واللجاج وتغطية الاذان واستغشاء الثياب والا كيف يمكن لمن يكلمه ميت بامر من الامور لايؤمن به ولا يصدق ؟!.

ومما تجدر الاشارة اليه ان مثل هذه الصيغة –صيغة المخاطب الغائب –لم ترد الا في هذا الموضع من الذكر الحكيم ،كما ان صيغة الماضي لم ترد في القران الكريم على الاطلاق .(وفي الاية دلالة على انه لوعلم الله انه لوفعل بهم من الايات ماقترحوها لامنوا انه كان يفعل ذلك بهم ،وانه يجب في حكمته ذلك ،لانه لو لم يجب ذلك لما كان لهذا الاحتجاج معنى وتعليله بانه انما لم يظهر هذه الايات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا وذلك يبين ايضا فساد قول من يقول :يجوز ان يكون في معلوم الله ما اذا فعله بالكافر امن ،لانه لو كان ذلك معلوما لفعله ،ولامنوا والامر بخلافه) [٨].ويشهد لذلك قوله تعالى :(وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً)[٩]. (وظهر ايضا ان المراد .....جهلهم بامر المعاد ، وان الحساب والجزاء الى الله لا الى غيره)[١٠].وقد وجه الفخر الرازي المراد من الاية بقوله :(قال اصحابنا :المراد يجهلون بان الكل من الله

وبقضائه وبقدره ،وقالت المعتزلة :المراد انهم جهلوا انهم يبقون كفارا عند ظهور الايات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها ،وكان اكثرهم يظنون ذلك).[١١]

اما ما ورد في الذكر الحكيم من الصيغة الفعلية الثانية (تجهلون)فقد جاءت اربع مرات في مواضع مختلفة،كقوله تعالى:(قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[١٢].و(يستفا د من هذه الاية بوضوح ان منشا الوثنية هو جهل البشرية بالله تعالى من جانب ،وعدم معرفته بذاته المقدسة وانه لا يتصور له شبيه او نظيراو مثيل.ومن جانب آخر جهل الانسان بالعلل الاصلية لحوادث العالم الذي يتسبب احيانا في ان ينسب الحوادث الى سلسلة من العلل الخرافية والخيالية ومنها الاصنام.ومن جانب ثالث جهل الانسان بما وراء الطبيعة ،وقصور فكره الى درجة انه لا يرى ولا يؤمن الا بالقضايا الحسية .هذه الجهالات تضافرت وتعاضدت ،وصارت على مدار التاريخ منشا للوثنية وعبادة الاصنام)[١٣].

وكذلك بقية موارد هذه الصيغة كما في قوله تعالى :(.... وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ)[١٤]

(معناه اراكم تجهلون انكم خير منكم لايمانهم بربهم وكفركم)[١٥]وجهلهم هذا يمنعهم من دراسة دعوة الرسول من غير تحقق ولو كان لديهم ادنى وعي لاحتملوا احتمالا ايجابيا واحدا مقابل هذه الاحتمالات السلبية . [١٦] وهو جهل مقترن بالكبر والغرور،وهو اساس تعاستهم.

وفي سورة النمل قال تعالى:(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون)[١٧] (اي تفعلون أ فعال الجهال ،قال ابن عباس :تجهلون القيامة وعاقبة العصيان).[١٨]

وهكذا نرى القران الكريم يعبر عن اتيان المعصية، وطاعة الشهوة، وتحكيم الغريزة ،ومخالفة الطريق الشرعي المرسوم للبشرية بانه جهل مستمر .لذلك جاء التعبير بصيغة فعل المخاطب المسند الى واو الجمع ليوحي بسمة ذلك المجتمع وامكانية اتصاف اي مجتمع في شرق الارض وغربها بصفة الجهل اذا ماانحدر وتسافل الى مثل ذلك المستوى من الانحطاط الخلقي ،وهذا مانراه اليوم واضحا في الحضارة المدنية سواء اكانت الغربية منها ام الشرقية !!!

واخر الموارد للصيغ الفعلية ماجاء في سورة الاحقاف ، اذ قال تعالى :(قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ)[١٩] : (اضراب عما يدل عليه الكلام من نفيه العلم عن نفسه ،والمعنى :لاعلم لي بما تستعجلون به من العذاب ولكني اراكم قوما تجهلون فلا تميزون ما ينفعكم مما يضركم وخيركم من شركم حين تردون دعوة الله وتكذبون باياته وتستهزئون بما يدعوكم به من العذاب).[٢٠]

ثانيا:مادة (جهل) في صورتها الاسمية وتشكلاتها:

يلاحظ ان لفظة (جهل) اتخذت الصورة الاسمية في ثمانية عشر موضعا قرآنيا،وعلى وفق مؤديات وظيفية مختلفة في التركيب القرآني.وهذا الظهور الاسمي لمادة (جهل)يفوق بكثير الظهور الفعلي لها ،وهو دليل على ايثارالتعبير القرآن لهذه الصيغة بتشكلاتها المختلفة ،فمرة تاتي مسندة الى ضمير المفرد،ومرة الى ضمير الجمع،ومرة بصيغة المبالغة ،ومرة منكرة ،ومرة معرفة،على النحو الاتي :

١:صيغة اسم الفاعل:

ومما يلاحظ على التعبير القرآني الخاص بهذه الصيغة انها تاتي مرة منكرة ومرة معرفة ،

فمن التعريف قوله تعالى:(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ...)[٢١] .وليس المراد بالجهل ضد العقل ،وانما هو الجهل ضد الاختبار،فمن لم يختبر امرهم يحسبهم اغنياء بسبب اظهارهم التجمل وتركهم المسالة [٢٢] .والتعريف هنا افاد الاستغراق والدوام، ليشعر باتصاف من لم يهتم بامور الفقراء ويتفحص حالهم بهذه الخصلة الذميمة. وقد جعله الراغب قسمين:قسم يذكر على سبيل الذم وهو الاكثر،وآخرلاعلى سبيل الذم،واستدل بقوله تعالى السابق، قال :(وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم).[٢٣]

اما التنكير فيبدو انه اوسع واكثر دلالة كما في قوله تعالى: (قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ[٢٤])وفيه نكتة ادبية لطيفة تتمثل بلطف الخطاب القرآني من النبي يوسف الى اخوته وتعبيره (اذ انتم جاهلون) بالتنكير ولو قال(الجاهلون) ،لاشعرهم ببقائهم في حيرة الجهل والظلال ،وذلك تلطفا منه –ع– لعلهم يرجعون الى الله ويتوبون من ذنبهم الذي اقترفوه بحق اخيهم وهو ما افاده التنكير ،يقول الشيخ الطوسي (انكم فعلتم ذلك في حال كنتم فيها جاهلين جهالة الصبي لا جهالة العاصي ،وذلك يقتضي انهم الان على خلافه ،ولولا ذلك لقال :وانتم جاهلون)[٢٥].فلم ينسبهم الى الجهل حال الخطاب،بل جعل هذا من عنفوان الشباب وطيش الصبى حين يغلب على الانسان الجهل.[٢٦]وهذا كله من خلق القرآن وحرصه على دقة التعبيروتربيةانبيائه ورسله على الخلق العظيم، وهو الوجه الذي ينبغي ان توجه فيه الاية والا فان موقفهم هذا لم يكن بسبب جهل الصبى،بل كان معصية وجريرة واثما كبيرا،والدليل ما نصت عليه كثير من الايات كقوله تعالى: (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ)[٢٧]. وفعلهم هذا كان معللا بانهم متى ما ازاحوا يوسف عن طريقهم صار لهم جاه وحفاوة عند ابيهم وهذا لا ينم عن جهالة منهم او جهل صبى ،وكيف يكون الصبى مع اختلاف اعمارهم ومبلغهم مبلغ الرجال واجماعهم على قتله ،ولذلك:(قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ.....)[٢٨].كما ان التفريط في قوله تعالى:(وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ..)[٢٩] دليل على ان عملهم هذا فيه كثير من العمدية

والقصدية،لكنه خاطبهم بلغة الانبياء لغة التسامح والمحبة والنصيحة والموعظة،عله ينجح في ذلك كما قال تعالى: (..لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[٣٠].

ومما يلاحظ ايضا على هذه الصيغة انها تاتي غالبا مسندة الى ضمير الجمع(الجاهلون) من ذلك قوله تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) [٣١]وقد(وصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالقا للاشياء ويكون مالكا لمقاليد السماوات والارض ،وظاهركون هذه الاصنام جمادات انها لا تضر ولاتنفع ومن اعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل بعبادة هذه الاجسام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه ،فلهذا السبب قال (ايها الجاهلون)ولا شك ان وصفهم بهذا الامر لائق بهذا الموضع) [٣٢].وقد اكد هذا الامر مرتين،مرة بالتعريف الذي يفيد الاستغراق وتمكن الجهل منهم ،ومرة بالصيغة الاسمية التي يفهم منها الثبوتية والاستمرار في حالة الضلال وعبادة الاصنام التي لاتملك لها ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا نشورا.

وتجدرالاشارة ايضا الى ان صيغة اسم الفاعل هذه جاءت على لسان الانبياء يدفعون عن انفسهم ان يكونوا من الجاهلين،اوخطابا للانبياء ينهاهم فيها سبحانه وتعالى ان يكونوا من الجاهلين وقد وردت مجرورة بحرف الجر(من) ثلاث مرات ، ومرة واحدة بحرف الجر (عن) ،من ذلك قوله تعالى:((قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[٣٣] . ويستفاد من التعبير بالجزئية في الاية ان الهزء يسمى جهلا والاشتغال به لا يكون الا بسبب الجهل مما لا يليق بمقام الانبياء،لذلك لم يستعذ موسى – ع– من نفس الشيء الذي نسبوه اليه ،بل استعاذ من السبب الموجب له ،والحاصل انه اطلق اسم السبب على المسبب مجازا[٣٤].

ومن ذلك ايضا قوله تعالى:(... فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [٣٥]،انما هو نهي محض عن الجهل ،ولا يدل على ان الجهل جائز منه –ص–بل يفيد كونه قادرا عليه ،لان الله لا يامر ولا ينهى الا بما قدر المكلف عليه ،والمراد هنا النهي عن جزعه وحزنه لكفرهم واعراضهم عن الايمان والتصديق به ،فيكون بذلك بمنزلة الجاهلين الذين لايصبرون على المصائب ويأثمون لشدة الجزع.[٣٦]وهو جهل في المقام ضد العلم كالحلم وهو ما ذكره جمهور المفسرين (لان الجزع في مواطن الصبر مما يوجب القرب الى الجاهلين) [٣٧] . وفيه اشعار بحسن تربيته تعالى لنبيه العظيم –ص–حيث دعاه الى الابتعاد عن المشقة وما يوجب حزنه والحرص على اسلامهم ،وانما تسير الامور وفق القواعد والاحكام التي جعلها –عز وجل –في دار الاختبار والاختيار.[٣٨]

ومنه قوله تعالى :(فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[٣٩]ومعناه (اني انصح لك في القول ان لا تكون بسؤالك ذلك من الجاهلين ،لانه سال ما ليس له به علم، ومن الدليل ايضا على انه –عليه السلام–لم يسال ذلك تعقيب قوله(فلا تسالني ما ليس لك به علم)[٤٠].وربما اوحت

اللفظة الى نسبة النبي نوح –ع– الى هذه الزمرة–الجاهلين–لانها تدل على الثبوت والاستقرار فيجاب بانه(لو كان المراد من النهي عن السؤال ان لا يتكرر منه ذلك بعد ما وقع مرة لكان الانسب ان يصرح بالنهي عن العود الى مثله دون النهي عن اصله كما وقع في نظير المورد من قوله تعالى (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدا)[٤١].

٢–صيغة المبالغة:–

وردت مادة (جهل)بصيغة المبالغة(جهول)مرة واحدة في القرآن الكريم ،وذلك في قوله تعالى :(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)[٤٢] . وهي صيغة–كما هو معروف–تدل على الكثرة والمبالغة،بمعنى حصول الامر منهم على وجه الكثرة،فضلا عن تكراره الصيغة بقوله (ظَلُوماً جَهُولاً)، وانما عبر بذلك(للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة)[٤٣]. فناسب المجيء بهذه الصيغة ليشعر بسذاجة هذا المخلوق الذي لا يعير للامور اي اهتمام لا سيما امر الرسالة فقبلها دون تان وتفكير!!

٣–المصدر:–

يرد مصدر الفعل (جهل) في اللغة على (جهل)و(جهالة)ولكنه في الاستعمال القرآني لم يرد بالصورة الأولى على الإطلاق،وورد بالصورة الثانية في اربع مواضع من الذكر الحكيم ، اقترن في ثلاثة منها بعمل السوء ،فمن ذلك قوله تعالى:(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ) [٤٤].وقد وجه المفسرون هذا الاستعمال بأربعة أقوال :

الأول– إنهم فعلوا السوء على جهة المعصية لله تعالى،و كل معصية جهالة،لان الجهل يدعو إليها ويزينها للعبد وان كانت عمدا.

الثاني–ان حالهم كحال الجهالة،التي لا يعلم صاحبها ما عليه في مثلها من المضرة.

الثالث–قول الفراء:لا يجهلون انه ذنب ولكن لا يعلمون كنه ما فيه كعلم العالم[٤٥].

الرابع–انهم يجهلون انها ذنوب ومعاص ،فيخطئون فيهااو يفرطون في الاستدلال على قبحها ،قال الرماني : (هذا ضعيف،لانه تاويل بخلاف ما اجمع عليه المفسرون)[٤٦].

ومحصلة القول ان المراد من الجهالة المقترنة بالسوء وبدلالة القرائن طغيان الغرائز ،وسيطرة الاهواء الجامحة وغلبتها على صوت العقل والايمان ،فينتفي بذلك دور العلم ويفقد مفعوله واثره ،وفقدان العلم لاثره مساو للجهل عملا [٤٧].

وعلى هذا تكون الجهالة قيدا توضيحيا لكل معصية تصدر عن الهوى ،وغلبة الهوى والشهوة والغضب ،ولو سكنت ثائرة الغضب وخمد لهيب الشهوة وراى جزاء عمله عاد الى العلم وزالت الجهالة وندم على فعله [٤٨].

اما الموضع الرابع الذي وردت فيه لفظة الجهالة فلم تكن في من يعمل السوءبنفسه فحسب ،بل الاساءة للاخرين،وذلك في قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[٤٩].اي حذرا من ان تصيبوا قوما في انفسهم واموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والاسلام[٥٠].ويستفاد منه(ان كل ذنب صدر عن جهالة قابل للعفو والغفران من الله تعالى ،وبهذا يخرج كل ذنب عن لجاج وعناد مع الحق واستكبارا على الله تعالى ....،لغلبة الشهوة واستيلاء الهوى ،ولكن ذلك لا يسلب نسبة الفعل الى الفاعل ،لانه صدر عنه عن علم وارادة)[٥١].

والذي يبدو للمتمعن ان القسم الاول–عمل السوء–اشد وطءا واكثر تاثيرا وعاقبة من الثاني، ولذلك عقبه تعالى بقوله(غفور رحيم) في حين جعل الثاني ندامة ولم يرتب عليه جزاء اخرويا.

بعد هذا التطواف في امهات كتب التفسير ومعاني القرآن واعرابه ،وبعد تتبع موارد توصيف اقتراف عمل السوء بهذه الصفة وهذه الحالة نجد من الواضح جدا ان الجهالة تمثل صفة طارئة وسيئة عارضة في سلوك الانسان الذي يصفه القرآن الكريم بالايمان ،ولذلك لم يعاقب عليها سبحانه، بل وعد صاحبها بقبول التوبة بعد الانابة والرجوع الى الله تعالى واصلاح ما افسده سواء بين الانسان وربه او بينه وبين الاخرين ،وذلك بحصر وتخصيص مورد التوبة لاصحاب هذه الصفة الطارئة ،ف(.إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ...).[٥٢]

٤–المصدر الصناعي:–

وردت مادة (جهل) بصيغة المصدر الصناعي او الاسم المنتهي بياء النسب(الجاهلية)اربع مرات في الذكر الحكيم،وقد اضيفت فيها اللفظة الى(الظن مرة،والى الحكم مرة ،والى التبرج مرة ،والى الحمية مرة) . وهي تعني في مجملها ذم العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة والدعوة الى نبذ الخلافات والعصبية والنهي عن القتل والرجوع الى حكم الجاهلية بدل حكم الله،والتبرج وغيرها.ومصطلح الجاهلية هذا مستمد من الجهل بمعنى السفه والطيش والاعراض وليس من الجهل الذي هو ضد العلم .يقول الاستاذ احمد امين:(والجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ،ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والانفة)[٥٣].

ولعل من نافلة القول ان نذكر ان التعبير القرآني يصف الجاهلية بالاولى كما في قوله تعالى:(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...)[٥٤]. فما معنى قوله (الجاهلية الاولى)؟التي وردت في

هذا الموضع فقط من القرآن الكريم ،والظاهر انها جاهلية ماقبل البعثة، والجاهلية الاخرى هي التي ستكون فيما بعد كجاهلية عصرنا الحاضر،وهذا من تنبؤات القرآن.ونحن نرى آثار هذا التنبؤ المادي ،الا ان المفسرين لم يتثبتوا ويعلموا بمثل هذا الامر ،فجهدوا في تفسيرهذه اللفظة ،واعتبروها فاصلة بين آدم ونوح(ع)او بين داود وسليمان (ع)[٥٥].

والمعنى:لاتحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر والفسوق،قال الزمخشري:(ويعضده ما روي ان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال لابي الدرداء– رض– :ان فيك جاهلية ، قال:جاهلية كفر ام اسلام؟فقال: بل جاهلية كفر).[٥٦]

ويمكن القول ان التعبيربالجاهلية الاولى اشارة الى ما كان سائدا في تلك المجتمعات من حالات القتل وشرب الخمروالتبرج وغيرها،فنهاهم القرآن عن الرجوع لمثلها ،وليس ثمة جاهلية اولى وثانية!،كما نقول في تعبيرنا الانسان الاول والمجتمع الاول.

وبعد يظهرجليا ان مصطلح الجاهلية من اشهر المصطلحات التي اطلقها القرآن الكريم على حالات السفه والطيش التي كانت سائدة في ذلك المجتمع ويكفي للدلالة على ذلك آلاف الكتب التي تناولت العصر الجاهلي ،وربما جاز لنا ان نقول :ان الجاهلية قد اصبحت علما ومصطلحا للعصر او الشعب الذي لا يخضع لحكم الله في نظامه وسلوكه ،ومن هنا بدانا نرى مؤلفات تحمل اسم الجاهلية الجديدة،او جاهلية العصر العشرين وهكذا .

الخاتمة ونتائج البحث:

بعدهذا لا بد لنا من وقفة نسجل فيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث والتي تتبعنا من خلالها مادة (جهل)في معاجم اللغة والقرآن الكريم:

– مادة (جهل)من المصطلحات التي استحدثها القرآن الكريم،اذ لم تكن موجودة قبل الاسلام،بل لم تذكر في الشعر الجاهلي على ما اثبتناه .

– اطلق القرآن لفظ الجاهلية،والجاهلية الاولى على الزمن الذي سبق البعثة النبوية الشريفة –زمن الكفر وعبادة الاصنام ،وعدم المعرفة بالله سبحانه وتعالى ،وشرب الخمروالتبرج والسفور و غيرها.

– تعددت صيغ مادة(جهل)في القرآن الكريم بين الاسمية والفعلية والمصدرية وصيغة المبالغة واسم الفاعل والمصدر الصناعي.

– لم ترد(جهل) بصيغتها الفعلية في القرآن الكريم خطابا للمفرد،ولاللمثنى،بل وردت خطابا للجمع بقسميه المخاطب والجمع (تجهلون،يجهلون).

– آثر القرآن الكريم استعمال المصدر(جهالة) الذي يدل–كمايبدو–على الكثرة والمبالغة في الجهل؛ لوجود التاء التي تفيد ذلك، بخلاف (جهلا)الذي لم يرد ذكره في القرآن .

الهوامش

(١)المعجم الوسيط:مادة (جهل)

(٢)اساس البلاغة :مادة(جهل) ،ديوان النابغة:١١٥

(٣)المزهر: ١٧٣

(٢٢) التفسير الكبير:٧/٧١

(٢٣) مفردات الفاظ القرآن (جهل)

(٢٤) سورة يوسف:٨٩

(٤) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم:١٥٨

(٥) الميزان في تفسير القرآن:١٥٦/٤

(٦) في الادب الجاهلي لطه حسين :٦١-٩٢،الشعرالجاهلي للنويهي: ٢٠٩- ٢٥٥

(٧) سورة الانعام: ١١١

(٨) التبيان في تفسير القرآن: ٢٦٠/٤

(٩) سورة الاسراء:٥٩

(١٠) الميزان في تفسير القرآن: ١٩٩/١٠

(١١) التفسير الكبير: ١٣ / ١٢٥

(١٢) سورة الاعراف: ١٣٨

(١٣) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥ / ١١٨

(١٤) سورة هود :٢٩

(١٥) التبيان : ٥ / ٥٤٤

(١٦) الامثل : ١٦/ ١٨١

(١٧) سورة النمل :٥٥

(١٨)مجمع البيان: ٧ / ٢٢٨

(١٩) سورة هود: ٢٩

(٢٠) الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٢١٦

(٢١) سورة البقرة:٢٧٣

(٤٣) تفسير ابي السعود : ٤/ ٣٣٦

(٤٤) سورة النساء : ١٧

(٤٥)معاني القرآن، للفراء: ١/ ٢٥٩

(٤٦)التبيان : ١٤٥/٣

(٤٧) الامثل : ٩٤/٣

(٤٨)مواهب الرحمن: ٣٣٣/٧

(٤٩)سورة الحجرات :٦

(٢٥) التبيان : ٦/ ١٨٨

(٢٦)مجمع البيان : ٥ / ٢١٦

(٢٧) سورة يوسف : ٩

(٢٨) سورة يوسف : ١٠

(٢٩) سورة يوسف : ٨٠

(٣٠) سورة الاعراف : ١٦٤

(٣١) سورة الزمر : ٦٤

(٣٢) التفسير الكبير : ١٤ /١٢

(٣٣) سورة البقرة : ٦٧

(٣٤) التفسير الكبير : ٣ /١٠٩

(٣٥) سورة الانعام : ٣٥

(٣٦) التبيان : ٤ / ١٣٢ – ١٣٣

(٣٧) مواهب الرحمن : ١٣ / ٢٣٣

(٣٨) المصدر نفسه : ١٣ / ٢٤٣

(٣٩) سورة هود : ٤٦

(٤٠) الميزان : ١٠ / ١٩٩

(٤١) المصدر نفسه : ١٠ / ٢٢٨ ،الاية:١٧ سورة النور

(٤٢) سورة الأحزاب : ٧٢

(٥٠) مجمع البيان:١٣٣/٩

(٥١) مواهب الرحمن :٣٣٣/٧

(٥٢) سورةالنساء:١٦

(٥٣) فجر الاسلام:١٢٥

(٥٤) سورة الاحزاب:٣٣

(٥٥) الامثل :١٥٢/١٣

(٥٦) الكشاف عن حقائق التنزيل:٢٦٠/٣

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- اساس البلاغة،جا راالله محمود بن عمر الزمخشري،دار الفكرللطباعة والنشروالتوزيغ، بيروت– لبنان ٢٠٠٠ م.
- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ،العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصرمكارم الشيرازي، دار النشر لمدرسة الامام علي بن ابي طالب –ع–
- التبيان في تفسير القرآن،ابو جعفر الطوسي،تح: احمد العاملي، المطبعة العلمية، النجف، ١٩٦٣ م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم،دراسة دلالية مقارنة،عودة خليل ابو عودة،مكتبة المنار .الزرقاء.الأردن،ط١– ١٩٨٥ م.
- تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم،محمد بن محمد العمادي،داراحياءالتراث العربي ،بيروت،لبنان،ط٤ ، ١٩٩٤م
- التفسير الكبير،فخر الدين الرازي، قدم له:خليل محيي الدين، دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩ م .
- ديوان النابغة الذبياني،تحقيق:محمدابو الفضل ابراهيم،دارالمعارف،بمصر،(د.ت).
- الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، د.محمد النويهي ،الدارالقومية للطباعة والنشر،القاهرة .
- فجر الاسلام،احمد امين، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر،القاهرة،ط٧– ١٩٥٥م
- في الادب الجاهلي،طه حسين،دارالمعارف،مصر،١٩٦٩م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل،الزمخشري،ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت ،لبنان،(د.ت).
- مجمع البيان في تفسير القرآن،ابوعلي الفضل بن الحسن،الطبرسي،دارالفكرللطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، ١٩٩٤م .
- المزهرفي علوم اللغة وانواعها،السيوطي،المكتبة المصرية،بيروت،لبنان، ١٩٨٦ م
- معاني القرآن،الفراء،ابوزكريا يحيى بن زياد،عالم الكتب،بيروت،ط٣–١٩٨٣
- المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية في القاهرة،ابراهيم مصطفى وآخرون،طهران، (د.ت).

- مفردات الفاظ القرآن،الراغب الاصفهاني،تح:صفوان عدنان داودي،دار القلم،دمشق، ١٩٩٧ م .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن،السبزواري،عبد الاعلى الموسوي،مطبعة الآداب، النجف،١٩٨٧ م.
- الميزان في تفسيرالقرآن،العلامة السيد محمدحسين الطباطبائي،تح:الشيخ اياد باقر سلمان،قدم له:السيد كمال حيدري،داراحياء التراث،بيروت ،لبنان،ط١، ٢٠٠٦ م .

The Article (Have No knowledge of) in The Holy Quran: A Linguistic Study

Abstract

In the linguistic studies, the old and new researchers have given a significant attention to the Quran studies since Quran is the first source for Arabic language to which students and researchers resort, not only for its words, but for expression and structure. Long time ago many books tried to explicate the Quran, interpret its utterances, show its syntax and the abrogating and abrogated. There are other books on The Quran rhetoric and inimitability.

We might not exaggerate when we say that the most prominent books are those tackling derivation of the Quran utterances, and showing the meanings of the words within their syntax. The Quran uses the words in peculiar ways. You cannot find a substitute to any word even if it is its equivalent.

In this research we study the term(have no knowledge of) in the Quran because this term has a peculiarity coming from its different forms in the Quran. It is used as a verb, a noun, an infinitive, a form of exaggeration,… etc. therefore, it is necessary to trace the meanings of the term with the linguists and in dictionaries on one side and in the Quran from another. On the level of meaning and structure in Quran, the term is changeable. In addition, syntax orients the general meaning of the text and the particular meaning of the utterance.

Then, here is an effort to study one utterance of the Quran. If we succeed, we will thank God, otherwise, we have at least tried, and God is behind our intention. What an excellent Master and Supporter He is.